بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

الحلقة الثامنة:
غض البصر
غض النساء أبصارهن وغض الرجال أبصارهم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين , أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حَسَنَها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

أيها الإخوة المستمعون:

من الملاحظ في شريعتنا الغراء أنها عندما تحرم جريمة تحرم أسبابها ودواعيها وتسدّ الطرق الموصلة إليها، فعندما حرَّم الله تعالى الخمر -مثلاً- حرّم صنعها، وبيعها، وشراءها وحمْلها، والجلوس في مجلس تدار فيه، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:90]. ومعلوم أن الاجتناب أشد من الترك، ففي الاجتناب ترك للأمر وما يرتبط به.

وكذلك لما حرَّم الله تعالى الزنى قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:32]. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ معنى الابتعاد عن دواعي الزنا ومسبباته ومقدماته وكل طريق أوصل إليه.

ولكي لا تحترق الفتيات بالنظر إلى فتوة الشباب، ولا يحترق الشباب بالنظر إلى محاسن النساء حرم الله على كل منهما النظر إلى الآخر بغير عذر شرعي مقبول؛ ذلك لأن النظرة الحرام هي أول خطوات الزنا ومراحله، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:30-31] والغض في اللغة: النقص والخفض والوضع، وغض البصر كفّه عمّا لا يحلّ النظر إليه بخفضه إلى الأرض أو بصرفه إلى جهة أخرى.

وقال رسول الله ﷺ: **«النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»** [الحاكم]

- وأخرج أبو داود عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول للنساء: **«من كانت منكن تؤمن بالله واليوم الآخر فلا ترفع رأسها حتى يرفع الرجال رؤوسهم: كراهية أن يرين عورات الرجال»**.

رسول الله ﷺ يغار أن تطلع النساء على عورات الرجال كما يغار أن يطلع الرجال على عوراتهن، ويحث المرأة على الحياء والغض، ويعلمها الوسائل لذلك.

وأبدأ بالحديث عن أمر الشرع المرأة بغضِّ بصرها، وإن كان الأصل في المرأة الحياء والستر، إلا أن أخطاءً توالت وأعرافاً تغيَّرت أوجبَت الحديث عن ذلك.

أيها الإخوة المستمعون:

إن ممَّا منَّ الله تعالى به علينا: نعمة العينين، فسألنا في كتابه ممتناً علينا: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد:8].

وأرشدنا سبحانه إلى طريقة إعمال هذه النعمة واستخدامها، فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ. . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾؛ لأن البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمرُ طريقِ الحواس إليه، لذلك كثيراً ما يتعثر القلب ويسقط من جراء النظر وأثاره، فما أَلِفَته العين أَلِفَه القلب.

وإن الله تعالى حرم على المرأة النظر إلى الرجال كما حرَّم عليهم النظر إليها، وهذا الأمر محلُّ اتفاق الفقهاء، لقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾.

وللحديث الذي أخرجه الترمذي وأبو داود من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: كنتُ عند رسولِ الله ﷺ وعنده ميمونةُ بنتُ الحارث، فأقبل ابنُ أمِّ مكتوم -وذلك بعد أن أُمِرْنا بالحجاب- فدخل علينا، فقال: **«احْتَجِبا منه»**، فقلنا: يا رسولَ الله، أَلَيْسَ هو أعمى لا يُبْصِرُنَا ولا يَعْرِفُنَا؟ قال: **«أَفَعَمياوَانِ أنتما؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ؟»**.

ثم إن النساء أحد نوعَي البشر، فحَرُم عليهن النظر إلى النوع الأخر كما حَرُم على الرجال ذلك؛ لأن القصد في الحالين واحد، والمعنى من الأمرين واحد، وهو خوف وقوع الفتنة.

وإن أمرَ الشرعِ المرأةَ بغض بصرها إنما هو لحفظ المرأة والمجتمع؛ لأن من أرسلت عينها في محاسن الغرباء قل حياؤها، وخُدشت أنوثتها.

تعجب من امرأة تنظر من ثقب الباب لتطّلع إلى رفاق زوجها وضيوفه، فتعرف أحدهم بصوته وصورته، والمؤسف أنها قد تحدث زوجها بذلك فلا ينطق ببنت شفة.

وتعجب من نساء مسلمات ألصقن صوراً لممثلين أو رياضيين أو مطربين على دفاترهن أو جدران غرفهن وربما وضَعنها على هواتفهن.

أخرج ابن ماجه في سننه وغيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: (كانت حبيبة بنت سهل تحت ثابت بن قيس بن شماس، وكان رجلاً دميماً، فقالت: (يا رسول الله، لا يجتمع رأسي ورأس ثابت أبداً، إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدّة، فإذا هو أشدهم سواداً، وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً، فقال: **«أتردّين عليه حديقته؟»** قالت: نعم، وإن شاء زدتُه. ففرق النبي ﷺ بينهما).

إذا علم المسلم ذلك، فكيف يأتي اليوم بصوره التي التقطها مع رفاقه في نزهة أو زيارة أو عمل فيريها لأهل بيته، ويدلّها على أصحابه.

إذا عَلِمت المسلمة ذلك، فكيف تطلق العنان لبصرها في الرجال.

فانظر، كم من حادثة وقعت من جراء معرفة المرأة صديق زوجها، كم من امرأة طُلِّقت لتتزوج صديق زوجها، وإني لو حدثتكم في قصص من هذا القبيل ما وسعنا يومنا هذا حديثاً.

لذلك، أنا آمل من كل أخت تسمعني، أن تدرِّب نفسها على غض البصر، حفاظاً على حيائها، وكرامة نفسها، وقبل كل ذلك: حفاظاً على دينها ومرضاة ربها.

هل تعلم أن:

- في كل ثانية يُنفَق ما يقارب ثلاثمائة وعشرة آلاف دولار على المواد الإباحية.
- ويشاهد ما يقارب الثلاثين ألف شخص المناظر الإباحية على الإنترنت.
- في كل 39 دقيقة يصدَّر فيلم إباحي جديد في الولايات المتحدة الأمريكية.
- عدد المواقع الإباحية على الإنترنيت أربع ملايين ومائتي ألف موقع.
- عدد الصفحات الإباحية على الإنترنيت أربعمائة وعشرون مليون صفحة.

هذه الأرقام ما كانت لو التزم أهلها: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، أضيفوا إليها النفقات التي تدفع للمعالجة من تبعات هذا الداء العضال، ففي دراسة أسترالية تَبيَّن أنَّ الشَّباب الذين يمضون ساعات طويلة في مشاهدة النساء وصورهنّ والمقاطع الفاحشة، تَظْهر عندهم أعراض اكتئاب أكثر من غيرهم

هذه الأمراض الجسدية والنفسية التي أغنانا عنها -نحن المسلمين- الالتزام بأمر الله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور:30]، ودققوا في قوله جل جلاله ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾

.

ذلك لأن البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمرُ طريقِ الحواس إليه، وكثيراً ما يتعثر القلب ويسقط من جراء النظر وأثره، فما ألِفَته العين ألفه القلب، ولأن النظر أول خطوات الفاحشة ومراحلها،

ولئن كانت مسؤولية التبرّج والتزيُّن والسُّفور وآثامهم تقع على عاتق المرأة، فإن مسؤولية النظر إلى ذلك وإثمه إنما تقع على عاتق الناظر نفسه، فلا يعذره أن يقول: هي تبرجَت، هي تزينَت، هي عرَضت نفسها...؛ إذ السمّ معروض للجميع، فمن شاء جرَعه، ومن عقل كفَّ عنه.

- كان غزوان الرِّقاشي وأبو موسى الأشعري ﷺ في بعض مغازيهم، فكُشِفت جارية فنظر إليها غزوان، فرفع يده فلطَم عينه ، فقال: إنك للحَّاظة إلى ما يضرك ولا ينفعك، فلقي أبا موسى فسأله، فقال: ظلمت عينك، فاستغفر الله وتب، [تفسير القرطبي]
- (كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر...) [البخاري ومسلم].

وللأسف، مع كل هذا الخطر بتنا اليوم نرى الصور الخليعة والمقاطع الماجنة على جوالات أبنائنا الشباب، ونرى الباعة في أسواقهم والسائقين في مركباتهم والطلاب في جامعاتهم أطلقوا لنظرهم العنان، بل تعاقد الأصدقاء وتعاهدوا الوقوف على أبواب مدارس الإناث، وإنك لتراهم يسيؤون إلى أعراض المسلمين بعينهم أو قولهم أو فعلهم، وما من سائل أو رادّ.

ولا يمر أمثال هذا السلوك غالباً من دون عواقب لاحقة، بل يتبعه توابع قد تتفاقم لتصبح إدماناً ومرضاً يرافق الشاب بعد الزواج، وكم من رجل كره زوجته وزهد بها بعد مشاهدته لتلك المواقع، وكم من زوجة فرّت من بيت زوجها لما تتأذى به من دوام نظر زوجها إلى مفاتن غيرها، وكم من بيوت هدِّمت وكبائر ارتكبت نتيجة لانتشار تلك الرذائل، فإذا ما وقع الشاب في المصيدة عجز عن الإقلاع عن تلك المعصية الخطيرة، وأصبحت الشَّهوة الجنسية محط اهتمامه وتفكيره الوحيد، وتركيزه في الحياة، وقد يدفعه هذا إلى ارتكاب الكبائر، فإياك -أخي- أن تقع، فرداء العفة والإيمان دقيق رقيق.

وفي الختام أهديكم نصائح تعين على غض البصر:

1- عليك بنسخة من القرآن الكريم، احملها في جيبك أو على جهازك المحمول، أو احمل أي كتاب جيبي نافع تغتنم بقراءته وقت الطريق. وقد أخبرني أحد حفاظ القرآن الكريم أنه حفظ ما يقارب ثمانين بالمائة من القرآن الكريم في وسائل النقل.

2- إن كنت لا تستطيع القراءة في الطريق -لأنك تقود مركبتك مثلاً- فأعمِل قلبك ولسانك بذكر الله، يقذف في قلبك حبه، والرغبة في اتِّباع أمره والخوف من مخالفته، ويعصمك من وساوس الشيطان.

قال رسول الله ﷺ: **«آمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجلٍ خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»** [الترمذي]

3- أكثِر من الدعاء (اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين)، واسأل الله أن يعينك على غض البصر، ولا تنس أن تتحرى أوقات استجابة الدعاء.

4- تذكّر أن عيناً تجول فيما حرَّم الله كيف لها أن تنظر إلى وجه الله يوم القيامة، وقد اتخذت أمره في الدنيا ظهرياً؟!

5- اعلم أن ما غضضتَ عنه طرفك لم تُحرَم منه، بل أبدلك الله به سعادة وراحة وقناعة وهناءً في قلبك وزوجك ونفسك، وأعطاك في الجنة خيراً من ذلك وأفضل.

6- احجب المواقع الإباحية من متصفح الإنترنيت على جهازك، قال النَّبيُّ ﷺ: **«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم مَن يخالل»** [رواه أحمد].

7- راقب الله تعالى في السِّرِّ والعلن: سُئل الجنيد: بم يُستعان على غضَّ البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله أسبق من نظرك إليه، وقال بعض السَّلف: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عَصيت.

وقال الحارث المحاسبي: المراقبة: عِلم القلب بقرب الرَّب، كلَّما قويت المعرفة بالله قوي الحياء من قربه ونظره.

وهذه من أنجع الطُّرق وأفلح الوسائل، فالمسلم إن تيقَّن أنَّ الله تعالى مطلع عليه، عالم بسريرته وعلانيته، محاسب له على ما يقترف ويفعل، كبح جماح نفسه، وألجم شهوته وغريزته.

وهذه بعض الحالات الاستثنائية التي يجوز فيها النظر إلى الأجانب والأجنبيات عند الفقهاء: (الخطبة - والمعالجة - المعاملة: كبيع وشراء - الشهادة أو القضاء - التعليم)، وضابط ذلك كله: (أن يكون النظر بقدر الحاجة)

سألت الله تعالى لي ولكم السداد والرشاد، ودوام النعم وحسن الختام

والحمد لله رب العالمين